الميدان وأشعلوا فيه النار، وتكرر المشهد في فرعي آلاميريكين (الفرع الواقع عند تقاطع شارع سليمان وشارع فؤاد، والفرع الآخر الكائن عند تقاطع شارعي عماد الدين وفؤاد).

لم ينتحب جروبي، ولم يصب بالذهول، ولا وجد حلا على طريقة عبد الرحمن الرافعي فقال إن الغوغاء فعلوها، ولعن الغوغاء، ولا اعتبر ما حدث مفهوما في سياق حقيقة جغرافية بسيطة تميل دائما إلى إسقاطها، وهي أن مصر في نهاية المطاف ليست إلا جزءا من إفريقيا، وما دام المرء في قلب الظلام فليتوقع أي شيء. كما أسلفت، رحم الله جروبي، لا بكي ولا اضطر للفهم، كان جثمانه مستقرا في قبره، أما روحه فالأرجح أنها كانت تحلق بعيدا على طريقة الأرواح، لا تشغلها كثيرا حرائق الأرض.

أقلّب في ملف الصور، أتخيل الملك يقلب فيه، ويلعن ويسب تمتمةً؛ لأن الغوغاء المأجورين أفسدوا عليه فرحة الاحتفال بميلاد ولي عهده؛ وأتخيل النحاس باشا يتملى الصور فينحدر عرق بارد من عنقه إلى تفريع كتفيه إلى عمود الظهر، تسري القشعريرة في بدنه. هل اعتقد فعلا فيما أذاعه في الناس، وصدق أنها مؤامرة، أم انتبه متأخرا أن إفساح المجال لبعض المظاهرات العنيفة لردع بريطانيا كان خطأ فادحا؟ أتخيله محمر الوجه كظيما، يردد في سره: فشل ذريع في التعامل مع اللجام! يتمتم: ألف باء السياسة: تُرخي اللجام قليلا، تُرخيه بقدر، تُرخيه أكثر من القليل بقليل، شرط أن تكون متحكما في الحصان، وفيما تبتغيه من ركض الحصان. فؤاد حمار، أفلت من يده اللجام فجمح الحصان، سقطنا!

ولم يرد بخاطر النحاس وهو يتأمل الكارثة وصور المباني المحروقة أو يتجول في سيارته في شوارع وسط المدينة ويطلب من السائق التوقف هنا وهناك لكي يتحقق من التفاصيل، لم يرد بخاطره أنه لن يعود لاعتلاء صهوة ذلك الحصان مرة أخرى.